توابع الزلزال سوف تهدأ

الاثنين 8 أغسطس 2011 12:08 م

د/فاروق الباز

أعتز كثيراً بكل من شارك فى ثورة 25 يناير التى كان لها وقع عظيم، ليس على مصر والوطن العربى فحسب، بل على العالم كله. فقد انبهر الناس جميعاً بالإصرار على رحيل قيادة الخمول والفساد لتأمين مستقبل أفضل لمصر ولأهلها الكرام.

تصلنى فى هذه المرحلة الحرجة تساؤلات عديدة عبر «الإنترنت» من شباب مصر، خاصة طلبة وطالبات الجامعات، تدل على قلقهم من الوضع الحالى. لم يتوقع هؤلاء الشباب أن الوطن سوف يصل إلى حالة الاضطراب التى جعلت الكثير من الناس تشك فى نتائج الثورة ومستقبلها. بدأ بعضهم يتحدث عن مستقبل مظلم يسوده الشجار وتغلب عليه الطائفية والعدوانية.

أود هنا أن أؤكد أن كل ما يحدث اليوم طبيعى جداً، وكان لابد من توقعه. يمكن تشبيه الثورة بزلزال شديد القوة أطاح بطبيعة الوضع السائد ولابد أن تكون له توابع. يحدث الزلزال نتيجة لضغط شديد يحرك كتل القشرة الأرضية الصلبة. وبطبيعة الحال عندما تغير كتلة ما من مكانها الطبيعى تبدأ الكتل المجاورة واحدة تلو الأخرى فى تغيير وضعها مع الواقع الجديد. هذه الحركات هى التى تسبب توابع الزلزال. هذا هو ما نراه اليوم بالفعل فى حركات الفئات والهيئات والجماعات، فهى توابع لما حدث. وكما نشاهد فى طبيعة الأرض ستستمر هذه التوابع حتى تستقر كل كتلة فى مكان يتواءم معها وتستريح فيه. ربما تستمر هذه التوابع عدة أشهر أخرى، فعلينا أن نتحلى بالصبر والفكر الثاقب كى نتحاشى آثارها السلبية على الجميع.

أهم مايجب علينا الاعتزاز به هو أن الثورة قد نجحت نجاحاً باهراً فى مطلبها الأساسى، وهو إنهاء حكم المستبد الذى كان يعامل الناس كما يحلو له، ونرى اليوم محاكمة أشد عملائه تحكماً محاكمة علانية. علينا أن نثق فى نزاهة القضاء الحالى فى التعامل مع المعتدين على كرامة الأمة ونهب ثروات الدولة، فهم سوف يعاملون معاملة عادلة تتيح إعلاء كلمة الحق.

يخشى بعض ممن يراسلنى من ظهور الجماعات الدينية على الساحة السياسية. فى حقيقة الأمر، إنها ظاهرة طبيعية جداً لأن هذه الجماعات كانت أول من حاصرها وقيد حريتها العهد البائد بكل إصرار. هذه الجماعات لها كل الحق فى إبداء رأيها الآن، لأن الحرية والديمقراطية لا تمنع أحداً من هذا الحق. من يخاف من حصول هذه الجماعات على أغلبية عليهم أن يعملوا جاهدين على إقناع عامة الناس أنهم الأنسب، وذلك بالعمل الدؤوب والمثابرة فى إصلاح حال المجتمع.

علينا فى فترة الهدوء التدريجى لتوابع زلزال الثورة أن نعمل جاهدين فى سبيل رفعة الإنتاج فى كل مجال. ذلك لأن النتيجة النهائية للثورة سوف تحسب تبعاً للوضع الاقتصادى بعد حين. فى هذه الآونة بالذات يجب على الجميع الإيمان بأن «العمل هو الحل» ويجب أن يعتبر العمل الشاق شرفاً عظيماً وليس حملاً ثقيلاً. لابد لنا من إنتاج كل احتياجاتنا من مأكل وملبس ومسكن. على كل منا أن يعمل بولاء وإخلاص لمهنته، وعلينا أن نحترم كل مجتهدٍ فى عمله مهما كان هذا العمل متواضعاً، فكل عمل شريف مادام له تأثير إيجابى على رفعة الوطن.

كذلك علينا أن نسامح موظفى الدولة الذين عملوا تحت لواء العهد البائد، فقد كانوا مغلوبين على أمرهم ولاحول لهم ولاقوة. لقد حاول بعضهم إصلاح مايمكن إصلاحه، لكن التيار الشديد كان يجرفهم. علينا أن نتركهم لمحاسبة أنفسهم وإيجاد سبيل لدعم المسيرة الحالية والنهوض بها إلى الأفضل. نحن فى مرحلة نحتاج فيها إلى خبرة كل مواطن لبناء وطن قوى يليق بسمعة مصر وتاريخها المجيد.

أخيراً، يسألنى بعض الشباب كيف تتفاءل على الرغم من وجود هذه الظواهر الخطرة؟ فى حقيقة الأمر إن هذا المشهد لا يؤرقنى كثيراً. لقد كانت مصر فى غيبوبة طالت ثلاثين عاماً، ولكنها خرجت من هذه الوعكة بسواعد أبنائها وبناتها. مصر اليوم على أهبة الاستعداد لبدء مسيرة جديدة تؤهل للوصول إلى بر الأمان وطريق الازدهار. ومصر تختلف كثيراً عن باقى الدول بتاريخها الأزلى ونفسها الطويل. لقد عانت عديداً فى الماضى تحت وطأة قيادات واهية، ولكن سرعان ما ينتفض شعبها العظيم ويبنى مستقبلاً مزدهراً. لذا فأنا متفائل جداً ومستبشر لمصر خيراً أسرع مما نتصور بفضل حماس شعبها الجسور. إذا أطال الله فى عمرى، ربما أكتب لكم فى نفس الوقت من العام القادم أهنئ شعب مصر العظيم على البدء فى المسيرة لمستقبل أفضل لكل أهلها.